

## المدرسة المنذرية بالموصل... شاهد على دور المسيحيين التربوي والثقافي

بهنام سليم حبابه

هي المدرسة الابتدائية للبنين المقامة في رحاب بيعة مارايشعيا العريقة وهذه البيعة مشرفة على نهر دجلة قرب (باب شط المكاوي) المعروف. وتلك البيعة من اقدم المواقع الاثرية المسيحية في الموصل يذكرها التاريخ منذ سنة 571م باسم (دير مار ايشوعيا).  
باشرت المدرسة خدمتها في تلك الرحاب بدوامين صباحي ومسائي منذ السنة الدراسية 1953-

1954 نقلا من (مدرسة ماريوسف) في محلة الميدان. واعطتها مديرية معارف الموصل (التربية) حينذاك اسم المنذرية بدل الغسانية الجديدة، وسوف يأتي تفصيل ذلك تاريخيا فيما بعد.

بدأت المدرسة تستقبل التلاميذ الجدد بالاضافة إلى المنقولين من الغسانية الجديدة وذلك بعد أن اقيم لها بناء جديد بصفوف متعددة، داوم فيها التلاميذ ابناء المناطق القريبة من مختلف الفئات بدون تمييز، وهكذا استمرت المدرسة في اداء خدماتها التربوية والتعليمية إلى سنة 1991 (اي حوالي نصف قرن) ثم غلقت ابوابها نظرا لقلّة العدد بسبب خلو المنطقة تقريبا وانتقال الاهالي إلى احياء ومناطق جديدة في المدينة او إلى خارجها من المدن.

هذا ومايزال الكثير من تلاميذ تلك المدرسة يذكرون بسرور بالغ سنوات دراستهم فيها كما يذكرون رفاق دربهم وقد انتشروا في أرجاء الدنيا شرقا وغربا واصبح للعديد منهم اسم لامع ومقام كبير يدعو إلى الفخر والاعتزاز من رجال دين ودنيا.

ويطيب لي ذكر اسماء العديد منهم تخليدا لهم ولاسم المدرسة التي أنجبتهم، وفي مقدمة الجميع يسرني تسجيل اسم السيد الجليل (مار لويس روفائيل ساكو) بطريرك الكلدان اليوم وقد داوم في المدرسة المنذرية تلميذا في الصف السادس مع رفاقه تلاميذ (المدرسة الرسولية في دير مار كوركيس) وعددهم 24 تلميذا بادارة واهتمام الزائر الرسولي للرهبانية الكلدانية حينذاك الأب الكلداني اليسوعي الدكتور بولس نويا (1958-1962) (من قرية اينشكي - قرب أردن) أستاذ التصوف الاسلامي بعدئذ في السوربون بباريس (وفاته 1980/2/5). كان رحمه الله

صديقا لي، طلب مني اعطاء بعض الدروس لتلاميذ الدير وللرهبان (وكان منهم متي كوسا ويوسف ككميخا).

أدون أدناه أسماء بعض من تلاميذ المدرسة المنذرية معذرا من الذين لا اتذكر اسماءهم مع توالي الاعوام ( فقد دخلت عامي الـ87 بحمد الله):

- الرهبان (القسس بعدئذ) ابراهيم اسحق و شربيل حودي (وفاته 2014). وفيما بعد بولس حزيان ودنحا عيسى.

- د.سامي حبيب حناوي (في هولندا)

- د.رياض البرهاوي/ استاذ في جامعة الموصل.

- د.رياض سليم حبابه/ استاذ في جامعة بغداد (ت 2013/1/26)

- د.قيس فاضل النعيمي/ استاذ في جامعة الموصل.

- أ.د. زهير ابراهيم رحيمو/ استاذ في جامعة الموصل (كلية الزراعة).

- د. عامر وديع ألجي/ استاذ في جامعة الموصل.

- د. ليون يوسف برخو/ استاذ في جامعة الموصل سابقا وفي احدى جامعات السويد حاليا. (نزولا عند طلبه كتبت هذه الذكريات).

- هاني غثيث، عميد شرطة متقاعد واخوه اسماعيل (نقيب شهيد).

- سالم جميل بحو ضابط طيار (متقاعد).

- د. نبيل سفر المختار واخوته نائل ومنهل ونمير.

- د. مازن يوسف المختار طبيب اختصاص (في اميركا).

- د. حسام يعقوب رفو الشيخ طبيب اختصاص في اميركا

- الاستاذ الجامعي عزيز عمانوئيل الزبياري استاذ في جامعة صلاح الدين/ اربيل.

- د. عامر ايوب جراح اختصاص - اخوه د. عماد ايوب/ استاذ جامعي

- د. ضياء سعيد بطرس طبيب اسنان . واخوه باهر

- نائل فرج عبوش

- رياض نعوم/ أستاذ جامعي في كندا

- نعمت ومدحت بهنام متوش

- عامر ونوزت عزوز

- عامر و عماد وعلاء فرج المختار

- اولاد نوئيل يوسف السناطي : سعدالله، حميد، بطرس، موفق وثائر.

- رافع هلال زيدان و عبد عزيز زيدان من الجماسة.

- صلاح لطيف النقار/ استاذ جامعي

- سامي جرجيس سماك و اخوه فائز - المهندس عصام حبيب عازر - المهندس جنان نعمان و اخوه اديب - اولاد متي داؤد جبوري الحداد - لوقا عيسى - اولاد المعلم جرجيس سحيجه - انمار خليل اسماعيل - اولاد جبو نيسان - اولاد ايوب رفو الشيخ - اولاد فضيل عيسى قرشيات متي وفائز ونزار - ريان يوسف عبد- عماد بطرس مطلوب/ محامي - طوانه زوزو- حازم نجيب طوبيا - نزار جميل رفو و اخوه موفق - فائز بهنام رفو نعومي و اخوه رائد.

كان عدد تلاميذ المدرسة حوالي 350 تلميذا بينهم اكثر من خمسين من المسلمين وكان هؤلاء مسرورين بدوامهم ودراستهم مع اخوانهم المسيحيين، لاسيما وانهم متجاوزون بالمساكن ضمن الاحياء القريبة.

اما المعلمون فقد داوم كثير منهم في المدرسة المنذرية، اذكر من بينهم: رمزي بهنام متمره - جرجيس اسحق سحيجه - سالم جميل بريرو - فيصل فتح الله منصور - خليل اسماعيل الحسيني - طارق يعقوب جوهر - جرجيس سماك - جرجيس سعيد عيسى - طارق حامد - صبري يوسف - فؤاد ميخائيل توماس - بطرس مطلوب - صلاح سعيد - عدنان اسماعيل سلطان - غانم خضر اسوفي. هؤلاء وغيرهم ممن لا اذكرهم نهضوا بتعليم المواد الدراسية المختلفة للصفوف كلها.

اما دروس الدين المسيحي فكان يقدمها (محاضرا بأجور زهيدة) القس افرام رسام راعي كنيسة مار ايشعيا وكان فاضلا ورعا نشيطا ومحبويا من المعلمين والتلاميذ، يوزع على

المحتاجين منهم ما يتيسر له من اعانات ضرورية في تلك الايام، كما يقوم بتهيئة الاولاد المتقدمين للاحتفال بالتناول المقدس، وبعد نقله إلى بغداد 1965 حل مكانه القس فرج رحو (المطران الشهيد فيما بعد) إلى سنة 1974 ثم القس يوحنا جولاغ.

توالى على ادارة المدرسة منذ نقلها إلى بنائها المذكورة الاساتذة:

\* سفر داؤد المختار (نحو 15 سنة) على فترتين ثم تقاعد. توفي 1987.

\* بهنام سليم حبابه: فترة من سنتي 1963-1964 ثم عاد بعدها سفر داؤد المختار ثانية.

\* سليم بنيامين القس: من اهالي منطقة العمادية استوطن الموصل سنين طويلة وتعين مديرا للمدرسة نحو عشر سنين ثم تقاعد وتوفي بالموصل.

\* فيصل فتح الله منصور: من اهالي دهوك استوطن الموصل سنين كثيرة وداوم في المنذرية نحو عشرين سنة معلما ثم مديرا وتوفي بالموصل.

اقلت المدرسة ابوابها سنة 1991 نظرا لقلّة اعداد التلاميذ وانتقل الباقون إلى مدارس اخرى.

## لمحة تاريخية

لكن ... هل كانت المنذرية هي المدرسة الاولى في (مار ايشعيا)؟ لا بالتأكيد.. فقد كانت فيها مدرسة منذ مبادئ القرن الـ18 فتحها الراهب القس خدر الموصلي (من بيت شعاعي) قام بالتعليم فيها مدة 30 سنة وكان نكيا مولعا بالدرس والمطالعة توافد اليه التلاميذ من الموصل ومن خارجها وعكف على التعليم فيها مع خدمته الدينية لبيعة مار ايشعيا.

نال بعض الاضطهاد والمعاكسة فغادر الموصل إلى حلب ثم إلى روما فوصلها في اوائل سنة 1720 متابعا دراسته وبحوثه وكانت له اليد الطولى في ارسال الآباء الدومنيكان إلى الموصل سنة 1750. توفي القس خدر في روما بتاريخ 1751/12/30 تاركا كتبا ومخطوطات ومؤلفات كان من اهمها معجم كتبه بثلاث لغات هي العربية والكلدانية والتركية سماه (الترجمان) ومؤلفات أخرى محفوظة في مكتبة الفاتيكان ومكتبة باريس الوطنية. كما وضع مداريش بالعربية للموتى فضلا عن بعض الاناشيد والتراتيل البيعية منها مايزال مستعملا إلى اليوم في الكنائس. وله معجم (عربي- كلداني) اكمله 1727. وترجم من الكلدانية واليهي بعض الكتب الدينية وكذلك من اللغة الايطالية.

يذكر أن القس خدر راهب من رهبان دير مار ايليا الحيري (الواقع في منطقة معسكر الغزلاني اليوم) كانت هناك بعض المحاولات لانتخابه مطرانا على الموصل.

(هذه المعلومات وسواها عنه طالع كتاب الاباء الدومنيكان ص33 وما بعدها- لبهنام سليم حبابه)

وحبذا لو انصرف احد الباحثين من الرهبان او سواهم إلى الكتابه عن القس خدر(رسالة ماجستير او دكتوراه) نظرا لشهرته ونتاجاته الغزيرة.

تعثرت مدرسة القس خدر هذه بعد مغادرته المدينة وكان يعلم فيها القسس رعاة البيعة بعده منهم القس فرنسيس وهو ابن اخت القس خدر والقس رومانوس الالقوشي (قبره في مار ايشعيا امام باب الرجال) والقس بطرس بترتتر من اهالي ايران والقس جرجس ابن القس فرنسيس والقس عبد الكريم نعمه(الخطاط المعروف) والقس بطرس بحو (المتخصص بتقسيم الموارد- علم الفرائض) ثم الشماسة: داؤد رمو والياس حراق واخيرا يعقوب سماك (استا يعقوب) ثم انتهى امرها بعد انتشار المدارس النظامية الاهلية ثم الحكومية الطائفية الرسمية.

### بدايات المدرسة المنذرية

في العودة إلى جذور المدرسة المنذرية والحديث عن ذلك -كما وعدت المطالعين الكرام- اذكر ان بيعة صغيرة للكلدان فتحت منذ العام 1895 باسم (مار يوسف) في حي القلعة - محلة الميدان - وذلك بعد شراء ثلاثة بيوت متجاورة كانت بعد انتهاء الصلوات تصبح صفا للتلاميذ يتعلمون فيه دروس الدين والقراءة والكتابة.

وان اول المعلمين لذاك صف مدرسة (مار يوسف) هو خادم الرعية القس قرياقوس مخنوق (ت1913) واعقبه من القسس انطون زبوني واسطيفان كجو ثم روفائيل عبدالله حبابه، هذا وجميل جدا ذكر بعض تلاميذ هذا الاخير (وهم الاعلام فيما بعد) كوركيس عواد واخوه ميخائيل والمطران روفائيل ربان .

استمر القس روفائيل حبابه في التعليم بمدرسة مار يوسف 13 سنة وقد سعى في بناء الكنيسة بناءً جديدا سنة 1927 مع غرفتين جديدتين في الطابق العلوي للصف الاول والثاني فقط (ومع هذا الحديث صورة تذكارية لتلاميذ الصف الاول في مدرسة مار يوسف مع المعلم القس روفائيل والمعلم جرجيس هداد - تاريخ الصورة 1931)

تحولت المدرسة من اهلية إلى رسمية بإدارة معارف الموصل منذ اوائل تشكيل الدولة العراقية، وكنت من تلاميذ تلك المدرسة في الصف الاول 1934/ 1935 وكان المعلم جرجيس هداد ثم وديع ساعور. اما في الصف الثاني فكان معلمنا بشير بدريه ومعلم الدين القس يعقوب اسطيفو . ومن رفاقي الذين اذكرهم إلى اليوم: غانم توفيق مطلوب ، سامي عزيز سقا الحصير و(متى بن ترمي)، يوسف منصور طليا، طوبيا عزيز بطي، غانم حبيب دمبيل ، عادل ابلحد نعامه، وديع جرجس غريبه ، يوسف سامي مطلوب . وسواهم .

واحتفلت المدرسة بالتناول الاول لتلاميذها في ايار 1935 بحضور البطريرك مار يوسف عمانوئيل الثاني (قرأت وصف الاحتفال بعدئذ في عدد حزيران 1935 من مجلة النجم البطريركية).

وارتقى معلم المدرسة السابق راعي الكنيسة إلى رتبة الخوري في 1936/10/25

اما بعد الصف الثاني فينتقل التلاميذ إلى مدرسة الطاهرة او شمعون الصفا- وكنت من المنتقلين إلى الطاهرة.

وبعد ان اشترى الخوري روفائيل بيتين ملاصقين للبيعة وللمدرسة اصبحت المدرسة ثلاثة صفوف ثم اربعة ومختلطة (بنين وبنات) 1946-1947 ، والمعلمات فبرونيا الشماس جرجس وفلم كرندي ورمزة فتحي توما والمديرة جينا ددي.

ومن تلاميذ تلك الحقبة اذكر اخي سمير سليم حبابه وفاروق (الأب يوسف) حبي وممتاز بشير حبابه واولاد عزيز كشحو وعدنان عزيز جابرو واخاه غسان ، وعدنان فيليب جزراوي وادمون عزيز مصلوب ، حميد وجليل مجيد حراق، صباح وفكتور سعيد رزوقي، جودت وبهنام صبري.

ثم عادت مديرية المعارف (التربية) إلى تعيين معلمين للمدرسة منهم اسحق عسكو وسفر المختار وجعلت اسم المدرسة (الغسانية الجديدة) بدل مار يوسف. واستمرت إلى سنة 1954 حيث انتقلت بتلاميذها إلى البناء الجديد في (مار ايشعيا) واعطي لها اسم المدرسة المنذرية.

هذا وختام لهذه الجولة التاريخية المدرسية الموصلية على مدى قرن من الزمان تقريبا يسرني ان اذكر بعض الفعاليات والنشاطات المدرسية منها الاشتراك في السباقات الرياضية وفي

الاحتفالات والمناسبات الدينية لبيعة مارايشعيا: (عيد السعانيين، غسل اقدم التلاميذ، التناولات الاحتفالية وغير ذلك).

ولا انسى الفعاليات المدرسية في الاصطفاف الصباحي قبل الدخول إلى الدروس واثناء تحية العلم ايام الخميس ، من ذلك تقليد اصوات الحيوانات بعد ان تعلم التلاميذ اسماء تلك الاصوات (كثروة لغوية): صياح الديك – مواء القط –نباح الكلب –عواء الذئب – زئير الاسد –هدير الجمل – نقيق الضفدع – نعيب البوم – سهيل الحصان – نهيق الحمار-خوار الثور- فحيح الحية... وقد فاز بالجائزة الاولى التلميذ( حكمت يوسف) لتقليده نهيق الحمار تقليدا متقنا ضحك له جميع التلاميذ طويلا .

وكذلك هذه المحاورة التمثيلية الشعرية الجميلة على لسان الحيوانات ( الطبي والذئب والنمر والاسد) اوردها فيمايلي ومثليا على اتقان تلاميذ تلك الايام لدروسهم العربية نثرا وشعرا وقواعد لغوية ..انشرها للذكرى تحية لتلاميذ المدرسة يوم ذاك ولاشك ان منهم من يذكر ذلك وتلك الايام .

- الطبي :

من يدانيني انا طبيُّ الفلا      مفردٌ بين الصحاري والجبال  
سار حسني في البرايا مثلا      وحباني الله انواع الجمال  
أنبتَ الله على رأسي القرون      تشبه الاغصان ايام الشتاء  
بين أجفاني من السحر فنون      وشذا مسكي جديرٌ بالثناء

- فيبرز الذئب مهددا ومتوعدا قائلا:

قف ليس ينجيك الهرب      والموت منك قد قرب  
فأنت لي نعمَ الطلب      واكلك الآن وجب  
كم مزقت انيابي      لحومٍ وحش الغاب

وقوة افتراسي      معروفة للناس

- واذا بالنمر يصرخ بهما مهددا الذئب:

خلّ سبيل الصيد      فانه لي وحدي  
كلّ الوحوش تدري      اني شديد الغدر  
فأين مني تفلت      والهز منك اثبت  
انا النمر انا النمر      فأين من يدي تفر

فيظهر الاسد مزجرا يزأر متوعدا الجميع بالفتك بهم:

اي الوحوش يعتدي      على مقام الاسد  
وليس ادنى شك      في قوتي وفتكي  
جميعكم يعنو لي      ويتقي سبيلي  
فدونكم نزالي      او اذعنوا في الحال

وهنا يقر له الجميع بالقوة والسلطان قائلين:

لك منا ما تشاء      من وداد وصفاء  
انت في الغاب امير      لايدانيك نظير  
فادفع الاخطار عنا      ولك الاخلاص منا  
فجميل بجميل      ولك الشكر الجزيل  
فيغفو الاسد عنهم - عفا الله عنا

\*\*\*\*\*

تحيتي لتلاميذ تلك الايام وقد انتشر كثير منهم في مشارق الارض ومغاربها.. ولا بد انهم يتذكرون تلك التمثيلية \_ وبعضهم اشترك بها وبغيرها من النشاطات والفعاليات المدرسية.

وفيما يلي بعض الصور التذكارية التي احتفظ بها :



1-الهيئة التعليمية في حديقة المدرسة



2-الهيئة التعليمية في ساحة/حوش المدرسة /1962



3- الاحتفال بتحيةة العلم صباح الخميس 1963

يتقدم أحد التلاميذ لتحيةة العلم بهذه الابيات الشعرية للشاعر جميل صدقي الزهاوي، ويهتف بحماس بالغ:

فإننا بك بعد الله نعتصمُ	عِشْ هكذا في علوِّ أيها العلمُ
وثق بأن تؤيدك الأحزاب كلُّهمُ	عِشْ خافقاً في الاعالي للبقاء
أفراحها بك فانظر: هذه الاممُ	جاءت تحييك هذا اليومَ معلنةً
والقلبُ يفرحُ والامالُ تبتسمُ	إنَّ العيونَ قريراتُ بما شهدت
أو أحترمتَ فإنَّ الشعبَ محترمُ	إن احتقرتَ فإنَّ الشعبَ محتقرُ
وأنتَ أنتَ جلالُ الشعبِ والعِظَمُ	الشعبُ أنتَ وأنتَ الشعبُ أجمعهُ
وإن تمّت ماتت الآمالُ والهَمُّ	فإن تعش سالما عاشت سعادتهُ
جميعهُ لك فأسلم ايها العلمُ	هذا الهتافُ الذي يعلو فتسمعهُ



4- الهيئة التعليمية للمدرسة 1964/4/12



5- الهيئة التعليمية في زيارة للقس افرام رسام 1963



6- الهيئة التعليمية مع التلاميذ الاوائل ويشاهد منهم : سامي حبيب حناوي (د. في هولندا). مازن يوسف (د. في امريكا) . نبيل سفر (د. في انكلتيرا) صلاح لطيف استاذ جامعي .



7- الاحتفال بالتناول: دخول التلاميذ من المدرسة إلى البيعة 1961



8- التقدم إلى التناول – ويشاهد: المطران مار عمانوئيل ددي والقس افرام رسام وسفر المختار وبهنام حبابه 1963



9- المتناولون من تلاميذ المدرسة -1964-. بينهم عامر فرج - رعد جرجيس - نائل سفر - نائل فرج عبوش - فائز جرجيس . وبين الوقوف من يمين المشاهد: ساهر مرزا ووالده الشماس انطون والمعلم طارق يعقوب . اما الجالسون فهم : سفر المختار- الاخ الراهب هرمز - القس بطرس يوسف - القس افرام رسام - المطران مارعمانوئيل ددي - الرئيس العام القس عبدالاحد ريان - الراهب القس فيلبس - الشماس بهنام حبابه



10- صورة تذكارية جميلة لقسم من تلاميذ المدرسة المنذرية 1962 في رواق المدرسة بجانب كنيسة مارقرياقوس،الراكعون : بينهم عامر وديع - عماد يوسف - نزار جميل رفو.

والوقوف من التلاميذ بينهم- سالم جميل - حميد نوئيل - ابراهيم اسحق - اديب نعمان - نبيل سفر - سامي جرجيس واخوه فائز اولاد ايوب رفو الشيخ  
الجالسون : بهنام حبابه - القس عبدالاحد ربان - الاب اليسوعي الكلداني .. د بولس  
نويا الزائر الرسولي الراهب متي كوسا القس افرام رسام



الصف الاول في مدرسة مار يوسف ١٩٣١/١٩٣٢، المعلم القس روفائيل حبابه والمعلم جرجيس هداد وعرفت بين التلاميذ فضيل رزوقي ميخائيل واخاه سامي وفي الجانب فرّاش المدرسة (العم ميخا)

11- مسك الختام هذه الصورة القديمة الجميلة لتلاميذ الصف الاول في مدرسة ماريوسف 1932/1931 (وهي المدرسة التي انجبت المنذرية فيمابعد ويشاهد فيها المعلم القس روفائيل حبابه والمعلم جرجيس هداد . وجانباً يشاهد فرّاش المدرسة العم ميخا .  
ورحم الله ايام زمان .....